نحو مدرسة أنثروبولوجية لدراسة المجتمعات في المنطقة العربية

أ.د. محمد سليمان شناق - جامعة اليرموك- أربد- الأردن

الملخص :

ستقدم هذه الورقة محاولة فكرية منطلقة من الواقع الذي نعيشه في المنطقة العربية، دون الفصل او الابتعاد عن النظرية الانثروبولوجية العلمية السائدة في هذا الحقل المعرفي، وعدم عزل المجتمعات العربية بخصوصية فريدة منعزلة عن التراث الانثروبولوجي العلمي والانساني العالمي، بل اعطاء الدارسين والباحثين الانثروبولوجيين العرب مساحات ارحب في التعبير ومناقشة ودراسة قضايا لها خصوصية عربية نابعة من الارث التاريخي والديني والانساني الذي تعيشة المنطقة بمختلف مكوناتها التي عبرت عنها ثقافة هذا الاقليم.

Abstract :

This paper will present an intellectual attempt based on the reality in which we live in the Arab region, without separating or departing from the prevailing anthropological theory in this field of knowledge, and not isolating the Arab societies in a unique and isolated sense of the world's anthropological and anthropological heritage. In the expression, discussion and study of issues of particular Arab origin stemming from the historical heritage, religious and humanitarian, which inhabit the region with various components expressed by the culture of this region.

مقدمة:

أُنتجت العديد من البحوث والدراسات الانثروبولوجية في المنطقة العربية والتي استندت في معظمها الى اطر ومناهج واتجاهات البحث التي تشكّلت في مراكز الابحاث والدراسات الغربية ، وقد اعتمدت في كثير من الاحيان على اللغات الغربية في تقديم ونقل المادة العلمية المتعلقة بالمجتمع والثقافة والهوية في المنطقة العربية الغنية بالثقافات الانسانية، كادوات لنقل المعرفة للمجتمعات الأخرى غير العربي، حيث يصور انه توجد شبه قطيعة

بين الانثروبولوجيين العرب ومجتمعاتهم، فهم يدرسون وياخذون عن المجتمعات العربية وثقافات هذه المجتمعات دون ان 'يشرِكوا أبناء المجتمع في التعرف على ما ينتج منهم وعنهم من فكر وثقافة وصورتتشكل في أذهان الآخر، وكأن الانثروبولوجيا وجدت للاخر غير الانسان العربي وغير الذي يعيش في المنطقة العربية .

واستناداً إلى تحليل بعض الدراسات الانسانية ذات الجذر الانثروبولوجي العربي في العصور الوسطى، وعلى الرغم من ان الانثروبولوجيا اخذت هذا المسمى في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ومن خلال الوثائق العربية، فقد تبين أن الانثروبولوجيا أقدم مما تعارف عليه، وكانت تستخدم بشكل انتقائي كجزء من استراتيجيات اجتماعية كما استخدمها ابن خلدون في دراسته للعصبية. وكذلك الدراسات الحديثة في البادية والعصبية[1] وغيرها من الظواهر المنتشرة في المجتمعات البدوية والريفية [2-5] .

الآن وبعد ان صدرت العديد من البحوث والدراسات الانثروبولوجية التي تُعنى بدراسة المجتمعات العربية من قبل باحثين ودارسين ومتخصصين انثروبولوجيين من عرب [6-14] او غيرهم [15-19]، درسوا وتمرسوا على فهم الثقافة العربية والاسلامية في مختلف البلدان والمناطق العربية، وتصدّوا للكثير من المواضيع المتعلقة بالانسان العربي وغير العربي ، ذلك الانسان الذي يعيش ضمن الثقافة والمنطقة العربية لفهم مشكلاته الانسانية وظواهره الاجتماعية والقضايا المتعلقة بكينونته ومقومات وجوده في المجتمعات العربية المختلفة، اصبح لزاماً علينا، ومن الضرورة بمكان ان نقفَ مجتمعين، لوضع إطار نظري خاص بالمنطقة العربية يعكس العناصر والادوات المنهجية لتحديد ملامح النظرية الانثروبولوجية العربية المعتمدة على اسس علمية وملزمة بشروط ينطلق منها الانثروبولوجيون الداخليون والخارجيون من أبناء المنطقة في أي مكان او بقعة جغرافية، والثقافات الفرعية التي تعيش ضمن هذه المجتمعات.

التنوع الثقافي والتكنولوجيا .

تعتبر الادوات التكنولوجية المتوفرة الآن، والفضاءات الرقمية المتمثلة بادوات التواصل الاجتماعي المختلفة بالاضافة لجدل النقاشات الموضوعية منصات مهمة لتأسيس مناخ فكري حر، ومنهجية علمية جلية تقوم على أسس واضحة، تحاور وتدرس المجتمعات العربية، وغير العربية التي تعيش ضمن المنطقة، دراسة أنثروبولوجية ذات خصوصية عربية ملتزمة بهذه المنهجية التي تحدد ملامح التنظير والادوات العلمية التي تكشف عن خصوصية هذه المجتمعات في المنطقة؛ لأنّ الانثروبولوجيين العرب بحاجة لدراسات معمّقة لثقافاتهم الكلية والفرعية لفهمها بصورة واعية صريحة وصحيحة لكي تتمكن الشعوب من خلال مؤسساتها الرسمية وغير الرسمية من تقديم مشروع ثقافي عربي إنساني واعٍ وواضح للدور المهم والمناط باصحاب هذه الثقافة لاطلاع أبناء الامم والثقافات الاخرى عليه، كما أننا في الوقت ذاته، نحتاج إلى دراسة ثقافات الشعوب الأخرى، والتي تعيش ضمن هذه المنطقة للتعرف على العناصر والمركّبات الثقافية لديهم في تعزيز التعايش والمصير المشترك.

إن هذه التعددية الثقافية والمرجعيات الفكرية المختلفة لتاسيس عمليات التنمية الشاملة في هذه المجتمعات ولتنوع ثقافي وفكري مستنير قائم على التعددية، هو مرحلة قادمة للسير نحو نهضة فكرية وعلمية شاملة قادرة على مواجهة التحديات المختلفة الداخلية منها والخارجية، وبناء جسور التعاون مع الشعوب والثقافات الاخرى المحيطة [20].

ومع انتشار الانتر نت في العالم بشكل عام، والعالم العربي بشكل خاص فقد اصبح التعاون سهلا في شتى مجالات العلوم الانسانية وتبادل المعلومات والعمل المشترك في المنطقة العربية حول اللثقافات الفرعية في تباينها وتشابهها [20، 21].

لا يمكن فهم حياة الافراد في أي مجتمع من المجتمعات، او أية قضية او إشكالية إنسانية او طبيعية، الا من خلال التمييز بين النماذج والمركبات والعناصر التي تتكون منها الثقافة، فالثقافة تعتبر من المفاهيم الاساسية والمهمة التي تساعد في رسم اطر ونماذج نظرية لفهم ودراسة المجتمعات العربية وغير العربية والتي لها حضور ومساهمة في البعد الانساني، وتعرضها الدراسات الانثروبولوجية للفكر الانساني قاطبة، فالفعل الحضاري للانسان

العربي هو جزء من الفكر والعمل الإنساني ، وقد قدَّمها الانثروبولوجيون في العالم والمنطقة العربية بطريقة مهمة وواعية لدراسة المجتمعات الكبيرة والصغيرة منها، فمن خلال الثقافة، تبيّن الانثروبولوجيا حقيقة الانسان نفسه ولباقي جنسه لتكشف له صيرورة المجتمع الذي يعيش فيه، وجميع وظائفه ومؤسساته والمنظمات التي تنشأ وتتفاعل معه وفيه ملاحظاً مشاركاً خارجاً من ذاته مراعياً مبدأ Emic-Etic [22-26].

ستقدم هذه الورقة محاولة فكرية منطلقة من الواقع الذي نعيشه في المنطقة العربية، دون الفصل او الابتعاد عن النظرية الانثروبولوجية العلمية السائدة في هذا الحقل المعرفي، وعدم عزل المجتمعات العربية بخصوصية فريدة منعزلة عن التراث الانثروبولوجي العلمي والانساني العالمي في زمن العولمة الحتمية، علماً بأن الانظمة الرقمية تعطي الدارسين والباحثين الانثروبولوجيين العرب مساحات واسعة للتعبير ومناقشة ودراسة قضايا لها خصوصية عربية نابعة من الارث التاريخي والديني والانساني الذي تعيشة هذه المنطقة بمختلف مكوناتها التي عبّرت عنها ثقافة هذا الاقليم.

وعلى الرغم من هذه الاستمرارية التاريخية الثابتة، وعلى نحو متنامي، ظهرت الانثروبولوجيا في منطقتنا العربية كعلم وميدان نظري تم دخوله من قبل باحثين وانثروبولوجيين عرب ومن أبناء المنطقة بعد منتصف القرن العشرين تقريباً ، وجلّهم درسوا وتتلمذوا في المدارس الغربية في بريطانيا على سبيل المثال - معقل النظرية الوظيفية- مثل احمد حامد ابوزيد تلميذ رادكليف براون واسماعيل قباري الذي درسَ الفلسفةَ وترجمَ وألّفَ بعضَ الكتب في مجال الانثروبولوجيا في مصر، وأما في العراق فقد كان شاكر مصطفى سليم وعلي الوردي وقيس النوري، جميعهم درسوا وتدرّبوا على الدراسات الانثروبولوجية في الولايات المتحدة الامريكية متأثّرين بالفكر والمدرسة البواسية (نسبة الى فرانس بواس)، وأفكار روث بندكت ومارجريت ميد.

إن هذا التطور في تخصص الانثروبولوجيا عمّق فكرة هذا العلم وأخذت الانثروبولوجيا تظهر كعلم متخصص ومستقل في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين متلازمة مع أقسام علم الاجتماع في الجامعات العربية او كتخصص فرعي

يعطى بعد سنتين من دراسة النظريات والمداخل المختلفة في تخصص علم الاجتماع ، علماً بأن هذا التخصص وولادة أقسامه كانت عبارة عن عملية أخذت تدخل ميدان العلوم الانسانية بشكل تدريجي، ومبرراتنا لوجهة النظر هذه هي 'جلّ الاعمال والكتابات التي كانت ولا تزال في إطارها النظري بعيدة عن العمل الحقلي او الميداني والذي يجب أن يصهرَ هذان الجانبان، أي البيانات المنتجة من العمل الميداني مع النظرية حتى تبرز الانثروبولوجيا بوضوح ، والشق الثاني لربما أكثر وضوح أن معظمَ الكتاب الانثروبولوجيين في المشرق العربي لم ينخرطوا بالعمل الميداني ولم يستخدموا تقنياته كي ينتجوا بيانات ذات مستوى عالٍ من الموضوعية والحيادية ، يمكن الارتكاز عليها لتعزيز النظرية الانثروبولوجية ، فقد تاثروا بعلماء الاجتماع العرب الذين وطّنوا تخصص علم الاجتماع في معظم الجامعات والمعاهد ومراكز الابحاث والتكوين في المنطقة العربية ، مقتفين آثار الغرب في التعامل مع النظريات في علم الاجتماع وتطبيقها على القضايا والظواهر الاجتماعية في المنطقة العربية دون أخذ أي اعتبار لخصوصية هذه المنطقة، واختلاف الثقافة فيها وتشعّبها، ويعود الامر الى سببين اثنين في سيطرة تخصص علم الاجتماع على تخصص الانثروبولوجيا؛ الاول: كانت المنطقة العربية ترزح تحت نير الاستعمار منذ بداية القرن العشرين ، وهي ميدان خصب لدراساتهم الانثروبولوجية الاجتماعية، وقد اقترنت الانثروبولوجيا بالفكر الاستعماري، وفي حقيقة الامر لم يستطع رواد هذا التخصص من الغرب تخليصه من الفكرة السائدة حوله على أنه الاداة التي يستخدمها الاجنبي المستعمر للسيطرة وبسط النفوذ على المناطق والمجتمعات التي يدرسها .

والثانية : أن الحكومات العربية لا يوجد لها تاثير أو دور خارج حدودها كما كان في السابق وفي العصور الوسطى، الامر الذي دفع دولة المركز بالعلماء الى الاطرف لدراسة وفهم الشعوب الاخرى التي انظوت تحت راية الاسلام لتفقههم بأمور دينهم ودنياهم، وبزمانهم، ومجتمعاتهم والمدارس الفكرية التي تتلمذوا فيها [27, 28].

إن التطور العلمي في مجال الانثروبولوجيا في المنطقة العربية، ناتج عن تغيّرات ذات مدى واسع في الثقافة والمجتمع، وإدراك أبناء المنطقة ممن تخصصوا ودرسوا في مجال

الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية في أن تخصص الانثروبولوجيا يمكن له أن يقودَ لتشكيل فكر واع وحر قادر على سبر عمق المجتمعات في المنطقة العربية، ولتشخيص أهم المشاكل والقضايا التي تعتري المجتمع والانسان، وللنهوض بالفرد الانسان، والتقدم نحو مجتمع ينتج ثقافة ومعرفة مهمة على صعيد الفرد والمجتمع تتلاحق مع الثقافات الاخرى في العالم، كي 'ينظرَ إلى المجتمعات والافراد فيها كوحدة تمر بتغير ونمو طبيعين، ومن البسيط نوعاً ما على مستوى صغير (قرية، بلدة صغيرة)، إلى مدن ودول تدخل مجال التصنيع على مستوى عال وكبير ومعقّد، فالتنمية يجب ان تدخل عامل التسريع لا أن 'تختصرَ في عمليات التغير الاجتماعي فقط، فالفرد يمكن له أن يتغيرَ ويتطورَ من خلال عمليات التدريب في المهن والتعليم ، ومن خلال ازالة العوالق والرواسب المختلفة في شخصيته وإيجاد ذاتِ حقيقية. كما أشار برونو لاتورفي ربطه العلوم بالانثروبولوجيا، واهتمامه بالنظرة الامبريقية في الانثروبولوجيا التي تقابل التجريبية في العلوم الطبيعية [29, 30]. فقد كانت فكرة الفرد المستقل ذاتيا لازمة لفكرة المجتمع، فقط عندما يؤسس الفرد الحر كمقياس لكل الاشياء، يمكن لفكرة المجتمع كوجود جمعي للافراد في أن تغرزَ جذورها، وتصبحَ موضوعاً للتأمل المنظَّم، عندها فقط يظهر المجتمع على أنه موضوع آخذ بالتحسن على نحو مستمر، ويمكن أن تعادَ صياغته ليأخذ أشكالا متقدمة، وهنا يمكن للفرد المستقل العقلاني أن يتغيرَ الى جديد ومختلف، وبل حتى أكثر حقيقية وواقعية بالنسبة لنفسه، وبدون هذا الخطاب الواضح حول الافكار، فإن موضوع الانثروبولوجيا لا يمكن أن ياخذَ دورَه بشكل واضح وجلي في المنطقة العربية.

إن موضعَ تأسيس مدرسة أو منصة فكرية تنظيرية منطلقة من خصوصية المنطقة العربية ومن الثقافات المتعددة والمتنوعة فيها، تلزم الانثروبولوجيين العملَ على وضع أسسس نظرية وفكرية قائمة على المرتكزات الاتية :

الثقافة :

لقد أفرِد لموضوع الثقافة كتبَ ومقالاتِ كثيرة، وقد تصدّى لها عدد كبير من الانثروبولوجيين ودارسي العلوم الاجتماعية والانسانية، ليضعوا لها تعريفاً واضحاً شاملاً

ومحدداً، فخرجوا بعدد يصل الى مائة وعشرين تعريفاً [31-34]، فقد عَرَّفها كلٌّ من وجهة نظرة ومن الزاوية التي تروق وتليق بموضوع بحثة، ومن هنا سوف لا انزلق في موضوع التعريف، وتضييق الواسع حتى أمارس شيئاً من السلطة على ما ينتجه أبناء هذا الاقليم من عناصرَ ومركّباتِ ثقافية أكاد أجزم بانها لا تختلف عن باقي الثقافات العالمية الاخرى في أهميتها، وأصالتها، وتنوعها، وارتباطها مع الثقافات الاخرى، وقدرة حامليها على نقلها من جيل الى جيل، وكذلك في نقلها وتعليمها للآخر دون وجل او تردد أو خوف بسبب تلقائيتها، وفرادة الكثير من مكوناتها .

هنا يبرز دور الباحث الانثروبولوجي في تحديد ملامح وعناصر ومركبات هذه الثقافة المتميزة والخصبة التي يحتضنها الاقليم العربي بتعدد وتنوع المجتمعات المختلفة والمتعايشة ضمنه، دون ان يتغول مجتمع على آخر او ثقافة على آخرى كل يسهم في اعطاء وابراز نفائسه ومكنوناته دون وجل او خوف استحياء.

الهويّة :

يعتبر وجود الهويّة ضروري للتعبير عن مجموعةٍ من السّمات الخاصّة بشخصيّات الأفراد لأبناء مجتمع محدد؛ لأنّها تعبّرُ عن الصّورة التي تعكسُ ثقافته، ولغته، وعقيدته، ومدينته، وتاريخه، وأيضاً تُساهمُ في مد طرق التواصل بين كافة الأفراد والمجموعات سواءً داخل مجتمعاتهم، أو مع المُجتمعات الاخرى المُختلفة عنهم اختلافاً جُزئيّاً مُعتمداً على اختلافِ اللغة، أو التقافة او الفكر أو اختلافاً كُليّاً في كافّةِ المجالات دون استثناء، وقد عُرِّفُها العلماء ُ بأنّها مجموعةٌ من المُميّزات التي يمتلّكها الأفراد، وتُساهمُ في جعلهم يُحقّقون صفة التفرّد عن غيرهم [35-37]، وقد تكون هذه المُميّزات مُشتركة بين جماعةٍ من النّاس سواءً ضمن إطارالمجتمع، أو الدّولة، او الاقليم ومن التّعريفات الأُخرى لمصطلح الهويّة أنّها كلُ شيءٍ مُشترك بين أفراد مَجموعةٍ مُحدّدة، أو شريحة اجتماعيّة تُساهمُ في بناءِ مُحيطٍ عامٍ لدولةٍ معينة او اقليم ما، ويتمُّ التّعاملُ معهم وفقاً لهويّتهم الخاصّة بهم .

قُسمت الهويّة إلى عدد من الأنواع، ويُساهمُ كلُّ نوعٍ منها إلى إبراز، سلوك أو فكرةٍ مُعيّنة حول ممارسة ما، ومن أهمّها: الهوية الوطنية، والهوية الثقافية، والهوية الاجتماعية

[38, 39]. وقد تطرَّق العلماء' وخاصة في الانثروبولوجيا لعدد من الحالات التي تمارسُ فيها الهوية ويعبَّرُ عنها، من خلال تحقيق الهوية الذاتية، او الهوية المضطربة والتي لا تستطيع تحديد موقع قاطنها، والهوية المضطهدة والتي 'يلزَم' صاحبها على ممارسة أدوار أو وظائفَ غير التي يرغب بها، والهوية المفكَّكة والتي يتعرض صاحبها الى تدفق هائل من السيطرة والتي ما تجعل' صاحبها غيرَ قادرٍ على تحديد ملامح هويته، فيكون عرضة للتجاذب بين مجموعة من المعايير الثقافية التي قد تكون متناقضة فيما بينها، وهنا يبرز دور المجتمع وتظهر عمليات الانتماء كعوامل مؤثرة في بناء وصياغة الهويات الفردية والجمعية ضمن هذا الاقليم والتي تتعايش ضمن المنطقة العربية مرتبطة بالعرب والاسلام والهوية، والمنطقة (الاقليم) [39].

التنظيمات الاجتماعية:

التنظيم هو سمة أساسية من سمات المجتمعات التقليدية والحديثة في الوقت الحاضر أصبح هذا العصر يسمى بعصر التنظيمات، وقد شهدت المجتمعات التي تعيش في الاقليم العربي الكثيرَ من التغيراتِ والتي أسهمت في حدوث نمو وتزايد تنظيمي حديث، بالاضافة الى التنظيمات التقليدية التي تتمثل بالتنظيمات القرابية - مثل القبيلة والعشيرة والاسرة الممتدة وما الى ذلك من تنظيمات، اثرت على المجتمعات التي قدمت الى المنطقة العربية او التي كانت موجودة فيها من غير العربية بهذا الشكل التقليدي من التنظيم، والذي اعتبره الانثروبولوجيون من خارج المنطقة العربية على أنه ميزةٌ أساسيةٌ من مميزات هذا الاقليم، وعندما أصبح التغيير الذي أعترى المجتمعات التي تقطن هذا الاقليم، غدت التغيرات الإجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جعلت من التنظيمات الحديثة أكثر قدرة وكفاءة على تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها، ويعتبر التباين الذي اتسمت به مظاهر الحياة الإجتماعية المختلفة من أبرز التحديات التي تواجه التنظيمات الحديثة من حيث النشاطات والوظائف المستحدثة التي كانت نتاجاً لتعقيد الحياة الإجتماعية وتشعّبها.

وبالاضافة إلى هذه التغيرات البنائية هناك تغيّرات ثقافية لعبت دوراً هاماً في إحداث ثورة تنظيمية حديثة، ولقد كانت هذه التغيرات الثقافية واضحةً من خلال سيطرة قيم ثقافية

حديثة تؤكّد وضوحَ الهدفِ والفعلِ والموضوعيةِ والتخصصِ، وهذه القيمُ تعتبر من خصوصيات التنظيمات الحديثة.

وقد ساعد النمو التنظيمي على ظهور الكثير من العناصر الإيجابية يأتي من بينها التعاون الذي يتطلبه التنظيم من أجل البقاء والاستمرار، وقد حل هذا التعاون محل الإعتماد الذي كانت تقوم عليه الأشكال التقليدية للتنظيمات الاجتماعية، وهناك من ينظر إلى التنظيمات الحديثة بوصفها أدوات أو وسائل تضمن تحقيق الأهداف، وأنها الشكل التنظيمي القادرُ على الوفاء بما تتطلبه المجتمعات الحديثة.

ويشير التنظيم الإجتماعي إلى مجموعة ثابتة نسبياً من العلاقات المتبادلة بين الأجزاء المكونة سواء أكانت أفراداً أو جماعاتِ، ويترتب على ذلك أن تكون له خصائص يمكن أن تؤدي إلى وجود بناء كلي قائم بذاته، ويمكن النظر إلى المجتمع كله باعتباره نسق كلي ونموذج اومركب من عدد من التنظيمات، فكلما زاد عدد السكان اتسع التنظيم وتضمّن عدداً كبيراً من الافراد تتعددُ وتتنوع وظائفهُ مع تراكم ثقافته، وفي نفس الوقت عندما يكبر حجم التنظيم الإجتماعي ويزداد عدده وتزداد عدد التنظيمات التي تؤدي غرضاً واحداً يحصل التغير الإجتماعي ويفقد بريقَهُ وبعضَ وظائفهِ، كما حصل ويحصل في التنظيمات التقليدية مثل الأسرة، والعائلة، والعشيرة، والقبيلة، التي فقدت بعضَ وظائفها، وأصبحت المؤسسات والأجهزة الرسمية الأخرى تقوم بالادوار والوظائف بديلاً عنها. وقد عرف التنظيم الإجتماعي من قبل دارسي العلوم الاجتماعية والانثروبولوجيا بشكل خاص كمصطلح اجتماعي، يشير إلى كل الأساليب والطرق التي تضفي طابعاً نظامياً على السلوك الإنساني للافراد، وهذا الإنتظام يرجع إلى البيئة الإجتماعية المحيطة بأعضاء المجتمع، والتي تتألف من عنصرين متكاملين هما: بناء العلاقات الإجتماعية المتبادلة بين مختلف الوحدات الإجتماعية والضوابط الموجهة للسلوك، والتنظيم بمعناه العام وحدة اجتماعية أو جماعة يرتبط أعضاؤها فيما بينهم بشبكة علاقات تنظمها مجموعة محددة من القيم والمعايير الإجتماعية، وهذا هو المفهوم الواسع للتنظيم الذي يشير إلى طائفة من الظواهر الإجتماعية تتناول بصفة عامة الطرق والوسائل التي يتَّخذ بمقتضاها السلوك الإنساني طابعاً منظماً

منتظماً، بينما يشير المعنى المحدد للتنظيم إلى الوحدة الإجتماعية التي تقام بطريقة مقصودة لتحقيق أهداف محددة، والتنظيم الإجتماعي كسلوك يتميز بعدد من الخصائص، منها تقسيم العمل، الأدوار، والمراكز، والمكانة الإجتماعية التي تبرز من خلال تقسيم العمل، والمعايير الإجتماعية الموجهة للسلوك (قواعد الفعل الإجتماعي التي تضبط الفرد بالأدوار المنوطة به)، والتواصل بين الافراد لتحقيق الغايات الجمعيّة للتنظيم، ويجب أن يشتملَ التنظيم على السلطة وتمكينَها للقائمين على التنظيم ، وتحديدَ دور كل شخص مناط به هذا الدور من حيث الحقوق والواجبات، ويجب ان يكونَ أعضاء التنظيم على درجة عالية من التوافق لتحقيق الاهداف من خلال الوسائل المتبعة من قبل التنظيم .

ويوجد نوعان من التنظيمات ، فهناك التنظيمات التي تنشا بشكل تلقائي، وأخرى تنشأ بشكل قصدي [40]، والتنظيم في المجتمعات التقليدية بسيط جداً، فهناك تدرّج في المراتب بين الأفراد، يكون للكبير بعضُ السلطةِ، ويتم الاتصال بين المجموعات ذات اللّهجات المتشابهة، وتتعاونُ من أجل أغراض الدفاع المشترك أو أداء الطقوس الدينية، وفي المجتمع القبلي تكون الحقوق والواجبات التي يحددها العرف بمثابة القاعدة المحددة للسلوك وتوجيهه، وهي عكس المجتمعات المتطورة التي تميزها مجموعة من القواعد الأخلاقية والتشريعية إضافة إلى العرف.

ويستخدم مفهوم التنظيم للإشارة إلى المجموعات العملية كالمصانع والنقابات والمصارف والجمعيات المختلفة، أي المجموعات التي تسعى وراء أغراض معينة كانتاج السلع أو توزيعها، وهو يدل من جهة أخرى على بعض السلوكات والسياقات الإجتماعية الإجتماعية كعمليات لتنظيم هذه النشاطات المتعددة والوسائل الكفيلة بتحقيق الأهداف الجماعية مثل (الإنتاج والتثقيف والتوزيع)، وإدماج مختلف الأفراد ضمن وحدة متجانسة.

عمليات السيطرة والتنمية:

لقد أصبحت دراسة المجتمعات البشرية وبالتحديد"العالم النامي" تكتسب أهمية متزايدة لدى المهتمين للتعرف على مسيرة تحولها وطبيعة المرحل الانتقالية التي تمر بها ونوعية النهج والفلسفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تبنتها هذه المجتمعات، والطريق التي

يوصلها لبلوغ أهدافها التنموية، وبناء الأداة التنظيمية الفاعلة والمحرِّكة لهذه المسيرة التنموية والادارة لهذه المجتمعات [41].

لقد أهتم الكثير من الباحثين الانثرولوجيين ودارسي العلوم الاجتماعية والانسانية بدراسة مسيرة التحول الاجتماعي في المنطقة العربية، من خلال مسائل التحول الاجتماعي التي تميزعن بقية المفاهيم التي سيطرت وبقيت شائعة حتى وقتنا هذا، كالتطور والتقدم والتغيير ، باعتبار أن المشاركة الاجتماعية الجماهيرية الواسعة تشكِّل نقطة الارتكاز في عملية التحول الاجتماعي التي تمثل المؤسسات والتنظمات الجماهيرية والشعبية والقنوات الاجتماعية الرئيسية التي تنظّم أدوار الافراد في المجتمع لخلق رأي عام مساند ومدافع وفاعل في عملية التحول الاجتماعي .

السكان والحراك السكاني :

يبلغ عدد سكان المنطقة العربية حالياً حوالي (265) مليون نسمة في عام 2003 بما يشكّل (5%) من إجمالي سكان العالم [42]. ويمكن القول أن كافة أقطارها متشابهة إجتماعياً ولغوياً وديموغرافيا، ويضم عموماً معدلات زواج مرتفعه، وزواج مبكر يليه حمل مباشر وغير متباعد، مما يزيد ارتفاع معدلات الزيادة السكانية، وزيادة في معدلات الشباب، الأمر الذي يقود إلى زيادة الأعباء والتبعية والاتكال، وشيوع الأميّة خاصة بين النساء في المنطقة العربية ، وانتشار فقر الدم الناتج عن الحمل المبكر والمتكرر، وينتج عنه نقص في الحديد والبروتين من سوء التغذية، وهذا بالتالي يقود إلى ازدياد نسبة الأمراض بين الأمهات والمواليد والأطفال "مثل الأمراض والإصابات المتعلقة بالحمل والولادة".

ان معدّل الوفيات بدأ بالتناقص بعد الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي تميّزت فيه معدلات المواليد بالتراجع بعد ذلك بكثير، مع بعض الإستثناءات. والدول العربية ضمن هذا الاطار، حيث معدلات النمو السكّاني المرتفعة بسبب الفجوة المتزايدة بين معدلات المواليد المرتفعة ومعدلات الوفيات المتدنيّة .

إنّ معدلات النمو سكّاني كهذه تفوق معدلات النمو الاقتصادي، ولا بدّ أن يشكّل فيها النمو السكّاني المتسارع هذا خطراً على المستوى المعيشي للسكّان، الأمر الذي يدفع

بالدول العربية ، ويحثّها إلى تبنّي المزيد من السياسات السكانية من أجل إحداث التوازن بين هذا التزايد السكّاني المفرط، ووضع خطط تنموية مستدامة، وحماية بيئية، والحفاظ على تكاملية اقتصادية بين دول الاقليم؛ كي تتمكن من النهوض وتحمّل المهام الكبيرة الملقى على عاتق صانعي السياسات لهذا الاقليم .

قسم الانثروبولوجيا في جامعة اليرموك:

أنشئ قسم الأنثروبولوجيا في كلية الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك عام 1984. وبدأ هذا القسم بتدريس التخصص لطلبة الدارسات العليا وقد سار في هذا النهج منذ ةالتاسيس الى عام 2003 حيث توسع القسم واصبح يمنح درجتي البكالوريوس والماجستير في الأنثروبولوجيا. فقد دُرست الانثروبولوجيا على مستوى البكلوريوس بشكلها العام اي يمنح المتخرج من هذا القسم درجة البكلوريوس في الانثروبولوجيا العامة. وبقي القسم يمنح الماجستير في تخصص الانثروبولوجيا في الانثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية وآخر في الانثروبولوجيا العضوية. صممت المساقات التي تدرّس في القسم لتزود الطلاب بالخبرات النظرية والعملية في الجوانب الثقافية والاجتماعية والأثرية والبيولوجية لهذا التخصص الذي يعنى بدراسة الإنسان ككائن بيولوجي وكائن اجتماعي وفهم ثقافته. يتبع قسم الأنثروبولوجيا مختبرات متخصصة في دراسة المخلفات العظمية ومعالجتها. قام القسم بإنجاز العديد من الدراسات المتعلقة بالمجتمع الأردني و ثقافته، كما أنجز العديد من المشاريع البحثية بالتعاون مع مؤسسات محلية وعربية ودولية مثل مؤسسة فورد الامريكية. تُمنح درجة البكالوريوس في الأنثروبولوجيا بعد دراسة 132 ساعة معتمدة من قبل الطالب.

خرَج القسم العديد من الطلبة على مستوى الدرسات العليا وقد توزعوا في العالم ويعملوا ويدرسوا في جامعات عالمية مرموقة بالاضافة الى العمل في المراكز البحثية العالمية ذات السمعة العلمية المرموقة والمهمة في هذا المجال. بالاضافة الى استقطاب عدد كبير من الباحثين والدارسين الانثروبولوجيين العالميين الى التدريس في هذا القسم، الذي كان لهم اثر كبير في رفع سوية خريجي هذا القسم. فقد حرصت الدكتورة ستناي شامي منذ البداية ان تبني علاقات جيدة مع مختلف مراكز الابحاث والدراسات في معظم دول العالم، وعملت

على استقطاب اكبر عدد من المختصين والدارسين في منطقة الشرق الاوسط ليشكلوا نقاط قوة في تدريب وتدريس الطلبة، حيث اصبحت الجامعات الاملية تتنافس على خريجي هذا القسم بسبب التاهيل والتدريب الكبير والاحترافي الذي يعطى لخريجي هذا القسم.

بعض الرواد الاوائل في الانثروبولوجيا في المشرق العربي : (43)

ان دعوتنا هذه، لا تمثل الدعوة الوحيدة او المثلى في دراسة المجتمع العربي المعاصر، بل هي مجرد محاولة قابلة للفحص والاختبار والبرهنة والنقد والحذف والتعديل والتجريح وايضا الرفض، فقد سبقنا الى هذا الموضوع عدد كبير من العلماء العرب في المشرق والمغرب العربي، منهم: الاستاذ الطيب التزيني وكانت معظم مداخلاته تاخذ منحى عربي في بناء إطار نظري لدراسة المجتمع والقضايا العربية، ومحمد غانم الرميحي من الكويت كسوسيولوجي وقد اهتم بعلم الاجتماع الثقافي، وهو الاسم الاخر للانثروبولوجيا ، وحليم بركات الذي درس المجتمع العربي، وألّفَ عدداً من الكتبِ والمقالاتِ في هذا الموضوع، وحسين فهيم، وآخرون من المشرق العربي مثل على الوردي، وشاكر مصطفى سليم، وقيس النوري، وفي الجناح الاخر من المنطقة العربية، يوجد عدد كبير من العلماء الذين اسسوا لدراسة المجتمعات العربية مثل، مالك بن نبي، ومحمد اركون، وسليم درنوني، وفاطمة المرنيسي.

علي الوردي :

كان يعرف الوردي على انه أول عالم اجتماع عراقي درس شخصية الفرد العراقي وطبيعة المجتمع العراقي، وحلّل الظواهر الاجتماعية الخفية والسلوكات الفردية والجمعية، ووجَّه الاهتمام إلى دراستها وتحليلها ونقدها، وهو ما دفع معظم دراسي العلوم الاجتماعية إلى اعادة النظر في دراسة الانسان العربي وفكره الاجتماعي والسياسي لندرك واقعنا بايجابياته وسلبياته.

تميزت ابحاث ومؤلفات علي الوردي بالصبغة الانثرولوجية، فقد بحث في واقع المجتمع العراقي وعاداته وتقاليده المتعددة من الثقافات والاديان والإثنيات المتباينة، وقد قدم عدد

من الطروحات النظرية التي يمكن من خلالها فهم ودراسة المجتمعات العربية وغير العربية التي تعيش ضمن الاقليم ومنها: "ازدواجية الشخصية عند العراقيين"، وقد قام بتعميم هذا الطرح على الفرد العربي، ومن يعيش ضمن هذه المنطقة من الآخرين غير العرب، وانتهج نهج ابن خلدون في طرحة لعمليات "التناشز الثقافي"، وتوليفه لطرح وليم اوجبرن عن الفرد العراقي والعربي خاصة عندما يتطرق لمسالة الحرية والتحرر، وقد الف عدداً من الكتب التي تزيد على سبعة عشر كتاباً ولاكثر من مائة مقالة منشورة في مجلات علمي، وتحتاج أعماله العلمية الى اعادة قراءة لتعزيز الفهم للفرد العربي، والقاطن في هذه المنطقة.

شاكر مصطفى سليم:

حصل الدكتور شاكر مصطفى سليم على شهادة الدكتوراه في الانثروبولوجيا من جامعة لندن، وهو أول أستاذ عراقي أدخل اختصاص الانثروبولوجيا إلى جامعة بغداد، ومنهجاً لدراسة المجتمع العراقي، وصاحب أول مبادرة في دراسة مجتمع الاهوار العراقية ميدانياً، وصدر اول عمل انثروبولوجي ميداني في كتابه بعنوان: الجبايش وهو مؤلف من جزئين، طبع سنة 1956-1957، وله عدد كبير من المؤلفات والتراجم، وبفضل جهوده أدخل تدريس الانثروبولوجيا لأول مرة في كلية الآداب، ثم أصبح مادة ثابتة من مواد الدراسة في جامعة بغداد.

يعتبرسليم من الشخصيات العراقية الأكاديمية التي لعبت دوراً بارزاً في العقد الخامس والسادس من القرن العشرين في مجال البحث والنقد الاجتماعي.

قيس نعمة النوري :

هو انثروبولوجي اجتماعي ثقافي (1929-2015) في العراق حيث درس الاقتصاد في جامعة بغداد ثم مالبث أن تحوّل في تخصص الانثروبولوجيا، وبعد أن حصل على زمالة دراسية في الولايات المتحدة في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، ثم أتمَّ دراسته في الماجستير عام 1960 ، والدكتوراه عام 1964 من جامعة ولاية واشنطن وعنوان أطروحته: "الصراع والإصرار في عملية التثاقف بالنسبة للكلدان العراقيين"، عاد إلى العراق، وعمل في التدريس بقسم علم الاجتماع في جامعة بغداد، ويعد من طليعة الرعيل

الثاني بعد جيل الرواد الكبار في علم الاجتماع في العراق والعالم العربي، ثم عمل في التدريس الجامعي في جامعة طرابلس في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين، وفي قسم الانثروبولوجيا جامعة اليرموك الأردنية في مدينة اربد من الفترة (1994-2003).

يمتلك النوري أفقاً علمياً واسعاً وحساً سوسيولوجياً عميقاً في رصد وتحليل الظواهر الثقافية في المجتمع وأثرها في بناء الشخصية، وتناول جوانب ثقافية واجتماعية حساسة ذات أثر في مسيرة التنمية الاجتماعية في العالم العربي مثل: القيم الاجتماعية، الأسرة، الهامش الريفي، آفاق الشخصية المنوالية العربية وغيرها من قضايا الثقافة والشخصية وعلاقتها بالتنمية، وقد كان وفياً في هذا الجانب لأستاذه الدكتور علي الوردي والذي يكن له كل احترام، وقد كتب ونشر عنه في أكثر من محفل بالعربية والإنكليزية.

ينظر له الكثير من طلبته على انه خليفة للدكتور علي الوردي في مسألة تمكنه من اختصاصه وقدرته على الإقناع والتأثير في طلبته وتحفيزهم على الاطلاع والبحث والمناقشة وطَرق الجوانب الخفية والغائبة في ثقافتنا العربية، ويعود له ولزملائه الانثروبولوجيين في قسم الاجتماع الفضل في تأسيس فرع الانثروبولوجيا التابع لقسم علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد في عام1980.

ألف الدكتور قيس النوري ما يزيد على ثلاثة عشر كتاباً، وعشرات البحوث العلمية الرصينة المنشورة في الدوريات العربية والعالمية ومن أهم كتبه: طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجيا الاجتماعية 1970، الحضارة والشخصية 1981، مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا) 1982 الاسرة مشروعا تنمويا 1994، الإنسان والبيئة 2002، الشخصية العربية 2002 .

المراجع والهوامش:

المراجع الاجنبية

1. Gierer, A., Ibn Khaldun on solidarity ("Asabiyah")-modern science on cooperativeness and empathy: a Comparison. 2001.

2. Anderson, J.W., Conjuring with Ibn Khaldun: from an anthropological point of view. Journal of Asian and African Studies, 1983. 18(3): p. 263.

3. Straub, D.W., K.D. Loch, and C.E. Hill, Transfer of information technology to the Arab world: a test of cultural influence modeling. Advanced topics in global information management, 2003. 2: p. 141-172.

4. Hilder, T., Viability versus tribalism. Kybernetes, 2004. 33(3/4): p. 632-646.

5. Amri, L., The concept of 'umran: the heuristic knot in Ibn Khaldun. The Journal of North African Studies, 2008. 13(3): p. 351-361.

6. Abu-Lughod, L., Zones of Theory in the Anthropology of the Arab World. Annual Review of Anthropology, 1989. 18(1): p. 267-306.

7. Mahmood, S., Politics of piety: The Islamic revival and the feminist subject. 2011: Princeton University Press.

8. Bangstad, S., Saba Mahmood and anthropological feminism after virtue. Theory, Culture & Society, 2011. 28(3): p. 28-54.

9. Mahmood, S., Sectarian conflict and family law in contemporary Egypt. American Ethnologist, 2012. 39(1): p. 54-62.

10. Altorki, S. and C.F. El-Solh, Arab women in the field: Studying your own society. 1988: Syracuse University Press.

11. Shami, S., Socio-cultural anthropology in Arab universities. Current anthropology, 1989. 30(5): p. 649-654.

12. Zayani, M., Toward a cultural anthropology of Arab media: Reflections on the codification of everyday life. History and anthropology, 2011. 22(1): p. 37-56.

13. Asad, T., Formations of the secular: Christianity, Islam, modernity. 2003: Stanford University Press.

14. Ghannam, F., Remaking the modern: Space, relocation, and the politics of identity in a global Cairo. 2002: Univ of California Press.

15. Young, W.C., The effect of labor migration on relations of exchange and subordination among the Rashaayda Bedouin of Sudan. Research in economic anthropology, 1987. 9: p. 191-220.

16. Ayoub, V., Conflict resolution and social reorganization in a Lebanese village. Human Organization, 1965. 24(1): p. 11-17.

17. Anton, R.T., THE SOCIAL SIGNIFICANCE OF RAMDAN IN ARAB VILLAGE. The Muslim World, 1968. 58(1): p. 36-42.

18. Salem-Murdock, M. and M.M. Horowitz, Anthropology and development in North Africa and the Middle East. 1990: Westview Pr.

19. Gellner, E., Saints of the Atlas. 1969: Weidenfeld & Nicolson.

20. Shunnaq, M., Cross-cultural cyber-marriages: a global socio-economic strategy for young Jordanians. Social Identities, 2009. 15(2): p. 169-186.

21. Loch, K.D., D.W. Straub, and S. Kamel, Diffusing the Internet in the Arab world: The role of social norms and technological culturation. IEEE transactions on engineering management, 2003. 50(1): p. 45-63.

22. Sluka, J.A. and A. Robben, Fieldwork in cultural anthropology: An introduction. Ethnographic fieldwork: An anthropological reader, 2007: p. 1-28.

23. Cunnison, I., Baggara Arabs: power and the lineage in a Sudanese nomad tribe. 1966: Clarendon Press Oxford.

24. Granqvist, H., Birth and childhood among the Arabs: studies in a Muhammadan village in Palestine. 1947.

25. Nakhleh, K., On being a native anthropologist. The politics of anthropology: From colonialism and sexism toward a view from below, 1979: p. 343-352.

26. Khuri, F.I., An invitation to laughter: A Lebanese anthropologist in the Arab world. 2008: University of Chicago Press.

27. Grant, E., The foundations of modern science in the Middle Ages: their religious, institutional and intellectual contexts. 1996: Cambridge University Press.

28. Sezgin, F. and E. Neubauer, Science and Technology in Islam. 2011.

29. Latour, B. and S. Woolgar, Laboratory life: The construction of scientific facts. 2013: Princeton University Press.

30. Latour, B., When things strike back: a possible contribution of 'science studies' to the social sciences. The British Journal of Sociology, 2000. 51(1): p. 107-123.

31. Samuel, G., Mind, body and culture: anthropology and the biological interface. 1990: Cambridge University Press.

32. Roth, C.F., et al., ET culture: anthropology in outerspaces. 2006: Duke University Press.

33. Linton, R., The study of man: an introduction. 1936.

34. Kluckhohn, C., Universal categories of culture. Anthropology today, 1953. 276: p. 507.

35. Gupta, A. and J. Ferguson, Culture, power, place: Explorations in critical anthropology. 1997: duke University press.

36. Kuper, A., Culture, identity and the project of a cosmopolitan anthropology. Man, 1994: p. 537-554.

37. Grossberg, L., Identity and cultural studies: Is that all there is. Questions of cultural identity, 1996: p. 87-107.

38. Smith, A.D., National identity. 1991: University of Nevada Press.

39. Smith, A.D., National identity and the idea of European unity. International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-), 1992: p. 55-76.

40. Williamson, O.E., Economic institutions: spontaneous and intentional governance. Journal of Law, Economics, & Organization, 1991. 7: p. 159-187.

41. Joseph, S., Patriarchy and development in the Arab world. Gender & Development, 1996. 4(2): p. 14-19.

42. Shaheen, J.G., Reel bad Arabs: How Hollywood vilifies a people. The Annals of the American Academy of Political and Social Science, 2003. 588(1): p. 171-193.

المراجع العربية

43 - جورج لاباساد و رينيه لورو ، مقدمات في علم الاجتماع ، ترجمة هادي ربيع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1982

44 - ر . م . ماكيفر وشارلز بيج ، المجتمع - الجزء الأول ، ترجمة علي أحمد عيسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، 1961.

45 - حسين عبد الحميد رشوان، المجتمع ، دراسة في علم الإجتماع ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1990

46 - بيث هس وآخرون، علم الإجتماع ، تعريب محمد مصطفى الشعيبني، الرياض، دار المريخ، 1989.

47 - أحمد النكلاوي، التغير والبناء الاجتماعي، دراسة نظرية ميدانية ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة، 1968.

48 - أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية.